يوم الأرض 2021 .. كيف نستعيد أرضنا ؟

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 25 إبريل 2021

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

لم نكن نتصور منذ سنوات أن يجتمع كل سكان الكرة الأرضية – كلهم على صعيد واحد – ولو للحظة واحدة لمحاربة عدو واحد أو أمر يهدد الكرة الأرضية والبشرية، فما بالنا اليوم ونحن قد اجتمعنا لمدة سنة كاملة لمحاربة فيروس التاجي كوفيد-19 ! لذلك نطرح السؤال الشائك اليوم والكرة الأرضية تقف على مشارف الانهيار وتقف البشرية على مشارف الانقراض؛ هل نحتاج إلى عدو مشترك يتهددنا ليوحدنا لنحافظ على كينونتنا وبقاء الأرض ؟

الذي حدث في هذه الفترة – حوالي سنة 2020 وربما 2021 – أمر غريب، وربما الأغرب من ذلك إن الحروب – نوعًا ما – قد توقفت، والإرهاب لم نسمع له ضحايا بصورة كبيرة، فهل من الممكن أن يحدث مثل هذا الأمر بصورة عامة؟

وهذا يقودنا إلى تاريخ 22 أبريل من كل عام، إذ يجب أن نحتفل نحن سكان الكرة الأرضية بيوم الأرض، تكريمًا لها على كل هذا العطاء. وقد بدأت قصة هذا اليوم حينما اقترح ناشط السلام جون مكونيل في مؤتمر اليونسكو

الذي عُقد في عام 1969 في سان فرانسيسكو، يومًا لتكريم الأرض ومفهوم السلام، وقد احتُفل به لأول مرة في 21 مارس من عام 1970، وهو أول أيام الربيع في نصف الكرة الشمالي. وصُدق على يوم تحقيق توازن الطبيعة في وقت لاحق في إعلان كتبه مكونيل ووقع عليه الأمين العام يو ثانت في الأمم المتحدة.

وبعد مرور حوالي شهر أسس السيناتور الأمريكي غايلورد نيلسون يوم الأرض المنفصل باعتباره يوم توعية بيئية حُدد لأول مرة في 22 أبريل من عام 1970، وحصل نيلسون لاحقًا على وسام الحرية الرئاسي تقديرًا لعمله. وعند تحديد يوم الأرض في 22 أبريل في الولايات المتحدة، جعلت منظمة أطلقها دينيس هايز، المنسق الوطني الأساسي في عام 1970، يوم الأرض يومًا عالميًا في عام 1990، بل ونظمت هذا الحدث في 141 دولة.

وكان ومازال الهدف العام والأساس لهذا اليوم هو تكريم الكرة الأرضية والمحافظة على البيئة من التلوث والملوثات وكذلك المحافظة على الموارد الطبيعية، ولكن إلى أي مدى قامت البشرية بتحقيق هذا الهدف ؟

عندما يكون الحديث عن المحافظة على البيئة فإن المرء يحتار، فهو لا يعرف عن ماذا يبدأ بالحديث، فهل يمكن أن يتحدث عن الغابات والأشجار التي تقطع ليل نهار، هل يتحدث عن المياه العذبة التي أصبح من الواضح مدى المناوشات والمشاجرات التي تحدث بسببها اليوم، هل يتحدث عن البحار والمحيطات ومدى تلوث هذه الأجسام المائية والتي غدت تعاني

الأمرّين لدرجة أن الكثير من البحار أصبحت خالية من الاسماك وبقية الكائنات الحية، هل يتحدث عن تلوث الهواء بكل تلك الغازات والملوثات، هل يتحدث عن مشكلة تغير المناخ التي ما زالت البشرية لم تتفق فيها على شيء محدد، هل يمكن أن يتحدث عن التنوع الحيوي، عن مشكلة الأغذية المحورة جينيًا، والعديد من القضايا والمشاكل التي ما إن تبدأ في الحديث عن إحداها حتى تتفاجأ بأن المشكلة الأخرى تقفز أمام ناظريك وكأنها تقول لك «وأنا أيضًا».

وللحقيقة فإن العديد من الدول تحاول أن تحسن من أوضاعها البيئية، وخاصة في القضايا الخاصة بموضوع الطاقة، إذ وجدنا أن الكثير من الدول بدأت تتنازل نوعًا ما عن امتلاك المحطات النووية وتحاول أن تستبدلها بأنواع من الطاقات البديلة، وكذلك تحول السيارات وبعض المحركات من محركات تعمل بالوقود الأحفوري إلى الأنواع الأخرى من الطاقة، وهذا في الحقيقة توجه نشد عليه الأيدي، إلا أن الموضوع يحتاج إلى الكثير من المبادرات والأنشطة التي ستساهم نوعًا ما في التخفيف من حدة المشاكل البيئية التي تعاني منها البشرية.

ولكن – في العادة – نجد أن المشكلة تكمن في الفرد، الإنسان نفسه، فعقلية هذا الإنسان هي المتحكمة في العديد من الأمور، فالإنسان الذي يتحكم في منزله يتحكم في ذلك المصنع الكبير الذي ينفث آلاف الأطنان من المخلفات الغازية، وهو ذلك المصنع الذي يرمي بالمخلفات السائلة أو

الصلبة في البحار أو على الأراضي المفتوحة، والإنسان الذي يغلق مفتاح المصباح في بيته من أجل ألا يدفع فاتورة الكهرباء العالية هو نفسه الذي يقطع آلاف الأشجار من أجل مصانع الأثاث والبيوت وما إلى ذلك، والإنسان الذي ينادي بالمحافظة على الطعام هو نفسه الذي يرمي بالمخلفات البلاستيكية أو المخلفات العامة في البحار ويقتل بها ملايين الأطنان من الاسماك والكائنات البحرية، والإنسان الذي يحافظ على قطة أو كلب من التشرد في الشوارع هو نفسه الذي لا يتوانى عن قتل آلاف البشر الذين يختلفون معه في اللون أو الدين أو المذهب أو حتى الرأي، فالإنسان هو الأساس، فلو تمكنا من أن نخترق عقله ونزرع فيه حب البيئة والكرة الأرضية وحب الخير لتغيرت الكرة الأرضية، ولأصبحت وكأنها جنة يسهل فيها التعامل مع كل شيء، ليس ذلك فحسب وإنما البيئة السليمة تمثل أفضل أساس لتحقيق الازدهار الاقتصادي والصحة والرفاه للبشر، فالمحافظة على السلوك البشري باتباع مسارات التنمية المستدامة وخاصة فيما يتعلق بالبيئة والمحافظة على الكرة الأرضية سيؤدي حتمًا إلى كل الرخاء والرفاه الذي ترجوه البشرية.

في ذات مرة في مؤتمر عالمي للبيئة أقيم في دولة من دول الخليج، طرح موضوع هو تعريف البيئة، فكان السؤال: ما تعريف البيئة ؟

وكانت الإجابة المتداولة، هي الإجابة النموذجية الأكاديمية والتي يعرفها الجميع، وعندما سئلتُ عن رأيي، قلت: «الإجابات كلها صحيحة، ولكن لا

تتمتع بالروح»، فاستغرب الجميع، عندئذ قلت وأنا أعرف البيئة: «البيئة هي أمي التي ولدتني لذلك يجب أن أحافظ عليها، البيئة هي مصدر الغذاء الذي نتناوله لذلك يجب أن يكون صحيًا، البيئة هي أبي الذي رباني وأحبني واحتضني..»، وبدأت بعد ذلك أربط هذه الكتلة الحيوية بالحياة والروح والعاطفة، والمشاعر والأحاسيس، عندئذ صفق الجميع، فالبيئة من وجهة نظري ليست كتلة جامدة حتى نعرفها تعريفًا جامدًا، فمن يمكنه أن يعرف أمه أو والده أو الشخص الذي يحبه، هل يمكن أن تشرح لماذا تحب ابنك أو بنتك ؟ هكذا البيئة.

ومرة أخرى عندما كنت أشرح علاقة الإنسان بالبيئة قلت: إن الإنسان جزء من البيئة، فلا يعتقد أنه كل البيئة، فهو يجب ألا يشغل إلا حيزًا من البيئة ويجب أن يحترم لبقية الكائنات الحية مساحتها فهي تمتلك الحق في الحياة كما هو له الحق في الحياة، لذلك يجب ألا يطغى الإنسان على بقية الكائنات الحية وإنما يجب أن يحترم كل الكائنات وكذلك بقية الموجودات في هذا المحيط الذي يعيش فيه.

إن شعرنا بأننا تسامينا وبلغنا هذا الحد من القناعة في المحافظة على البيئة وبقية الكائنات الحية، فإنه يمكن أن نقول إننا لسنا بدعًا من البشر إن طالبنا أنفسنا وغيرنا بأن نحترم البيئة التي نعيش فيها، فقد عرف غيرنا أهمية هذا الوسط الذي نعيش فيه، حتى إن عقيدتنا تطالبنا بالسير في هذا الاتجاه وهو المحافظة على البيئة وزراعة الأشجار والمحافظة على

الطرقات والشوارع والحيوانات وكل جزئية من الكائنات وغير الكائنات التي تعيش في هذا الوسط الذي نعيش فيه.

ومن خلال علاقتي الطويلة بموضوع البيئة والمحافظة على البيئة والكائنات الحية استطعت أن أجمع العديد من الأسباب التي تدعونا للمحافظة على البيئة، وسوف أحاول هنا أن أسرد أحد عشر سببًا من ضمن المئات من الأسباب التي تدعونا لذلك، وهي كالتالي:

1. **نحن نعيش في هذه البيئة، فصحتها من صحتنا.**
2. **نحن نأكل من البيئة، فالغذاء السليم يعني صحة سليمة.**
3. **نحن نشرب الماء من البيئة، فالماء الخالي من الملوثات لن يسبب لنا أي أمراض.**
4. **نحن نتنفس من هواء البيئة التي نعيش فيها، فالهواء الملوث حتمًا يؤدي إلى إصابتنا بأمراض.**
5. **تخيل لو قطعنا كل أشجار العالم، فهل يمكننا أن نعيش في مثل هذه البيئة ؟**
6. **تخيل لو قضينا على كل حيوانات الأرض، فكيف يمكننا أن نعيش من غيرها ؟**
7. **تخيل لو أننا رمينا بمخلفاتنا – دائمًا – في الشوارع والطرقات، ماذا يمكن أن يحدث في الأرض ؟**

8. **تخيل لو أننا استهلكنا كل الموارد الطبيعية، فكيف يمكننا أن نعيش ويعيش أولادنا من بعدنا ؟**
9. **تخيل لو أصبحت الأرض جرداء من كل شيء، فكيف يمكنك أن تعيش؟**
10. **تذكر أنك جزء من هذه الأرض وهذه البيئة، خلقنا اللّه لنكون جزءًا وليس كل البيئة، لذلك يجب أن نحترم هذا المكان الذي نعيش فيه.**
11. **إن احترام البيئة والمحافظة عليها واجب ديني وواجب وطني.**

هذه بعض النقاط، إن وجدتَ أنها تناسبك فهذا أمر جيد فاختر أيًا منها وحاول أن تفكر فيها بجد وعمق، حتى تكون من أصدقاء البيئة، ونكون قد استعدنا الأرض وأسعدناها.